ترجمان مجلد 19 عدد 2، أكتوبر 2010، ص 77- 121

الأفعال الرباعية: الأصل والتكوين بين الثلاثي والرباعي

نور الدين الشملالي

نعالج في هذا العرض الأفعال الرباعية المزيدة[1]، اعتمادا على الجهود اللغوية الموروثة عن اللغويين الأوائل، وجهود الدارسين المحدثين.

ويستعرض الفصل هذا الموضوع وفق النقاط التالية:

- تحديد معنى الزيادة / الإلحاق.
- حروف الزيادة التقليدية وغير التقليدية.
- ذكر وتحديد مزيدات الفعل والرباعي.
- دراسة دلالات ومعاني الصيغ المزيدة.

---

[1] إن أكثر أبنية هذه المزيدات سماعية لا يقاس عليها. كما أنه لا يلزم في كل مجرد أن يستعمل له مزيد ولا في ما استعمل له بعض المزيدات أن يُستعمل فيه المجرد. فمثلا جَنَّلَ بمعنى التَفَّ لا يستعمل له مزيد. وذَربَ لا يستعمل له من المزيدات سوى ذَرَّبَ وأذْرَبَ. وقد يمات المجرد أحيانا ويقتصر في الاستعمال على المزيد: أرسل بمعنى بَعَثَ، فلا يقال رَسَلَ بهذا المعنى. أحَبَّ بمعنى وَدَّ، فلا يقال حَبَّ إلا نادراً.

- استعراض آراء الدارسين العرب القدماء والمحدثين، في الموضوع، ثم مقارنتها.
- عرض نتائج البحث المتمثلة في الإحصائيات التي تُجمل الخصائص الصرفية والدلالية لهذه الصيغ في اللغة العربية المعيارية المعاصرة في جداول، ثم التعليق عليها.

1 - **مفهوم الزيادة:**

تحدث النحاة والصرفيون العرب القدماء عن مفهوم الزيادة، فأكدوا وألحوا على أن لا استغناء للناظر في اللغة العربية عن معرفة الزوائد لأنها كثيرة الدخول في الأبنية وفي الاشتقاق بصفة عام. وهذه الزيادة تغطي عندهم مجالا واسعا من صرف العربية، ومعناها إلحاق الكلمة ما ليس فيها، وذلك لإفادة معنى، أو لضرب من التوسع في اللغة.[2]

والزيادة في مجرد الأفعال، إنما تكون لضربين من الأغراض:

أ - **غرض لفظي وهو الإلحاق**، وذلك لتوحيد الأبنية، وحمل بعضها على بعض، توسعة في الكلام، يقول ابن جني في تعريف الإلحاق: «اعلم أن الإلحاق إنّما هو بزيادة في الكلمة تبلغ بها زنة الملحق به لضرب من التوسع في اللغة، فذوات الثلاثة يبلغ بها الأربعة والخمسة وذوات الأربعة يبلغ بها الخمسة ولا يبقى بعد ذلك غرض مطلوب».[3]

ومن خلال هذا الكلام يتبين أن إلحاق الكلمة ما ليس فيها لإفادة معنى جديد، هو المعنى الاشتقاقي المعجمي والمعنى التصريفي النحوي، الذي يتوازى فيه حضور

---

[2] شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، ص:101.
[3] المنصف، ابن جني، ج1، ص:34.

الزائدة وحضور المعنى، وإما لضرب من التوسع في اللغة، بحيث يكون الغرض منها لفظيّا محضا كما هو الحال في الإلحاق (إلحاق الثلاثي بالرباعي، مثلا). والزيادة هنا تقوم بتوسيع الكلمة مثل "حوقل" و"جوهر" ولكن هذه الزيادة لا دلالة لها، بعكس الزيادة التي في الاشتقاق. فزيادة (**تـ**) في تدحرج مثلا، تفيد معنى المطاوعة و(**استـ**) في استخرج يفيد الجعل...

ب – غرض معنوي، وهو محدّد بزيادة حروف معينة حصرها العلماء في عشرة أحرف، إذ هي التي يشملها قولنا "**اليوم تنساه** أو **وأتاه سليمان** أو **سألتمونيها** أو **السمان هويت**" بالإضافة إلى تضعيف بعض الحروف الأصلية للأبنية. فهذه الحروف أو القطعات هي التي استدل على زيادتها، وهي تقع أوّلاً أو وسطاً أو آخراً بحيث تكون سوابق أو أواسط (حشويات) أو لواحق. وبعض الصرفيون القدماء وحّدوا بين الزوائد التي في الاشتقاق والزوائد التي ترد في التصريف ولو يفصلوا بينها[4]. ولا يتبادر إلى الكثيرين أن مفهوم الزيادة شيء مهمل، أو مدخل مفتوح، يُتَصَرَّف في جميع أفعال اللغة بكيفية مطلقة، إذ أن ذلك مضبوط بقواعد ثابتة، وظواهر لغوية . قال الاستراباذي: « وليست هذه الزيادات قياساً مُطَّرداً، فليس لك أن تقول في ظَرُف أَظرف، وفي نَصَرَ أَنْصَرَ، ولهذا رُدَّ على الأخفش، في قياس أَظَنَّ وأَحْسَبَ وأخالَ، على أعْلَمَ وأرَى، وكذا لا تقول: نَصَّرَ ولا دخَّلَ، وكذا في غير ذلك من الأبواب، بل يُحتاجُ في كلّ باب إلى سماع اللفظ المُعَيَّن، وكذا استعماله في اللفظ المُعَيِّنِ».[5]

---

[4] ابن عصفور مثلا لا يفصل بين "اللاصقة" التي في "تضرب" و"اضطرب" حيث يدرجها في مجال التصريف. الممتع في التصريف، ج1، ص:31. ص:11.

[5] شرح شافية ابن الحاجب، ج3، ص:84.

وتخضع الكلمة العربية عادة لنوعين من الزيادات: زيادة اشتقاقية أو محورية، وهي سيرورات تعمل بكيفية طبيعية على إبراز أشكال معجمية جديدة (الاشتقاق في معناه الخاص- العادي، الصغير)، وزيادة تصريفية أو نحوية وهي سيرورات تسم في الأفعال لمقولات الزمن والتطابق والعدد والجنس...

والنوع الأول (الزيادة الاشتقاقية) هو الذي سنناقشه، وقد حصرناه في الفعل الرباعي المجرد والمزيد في (أربع صيغ) ...

2 - الأفعال المزيدة:

ما دام الموضوع المقترح في هذا الفصل يقتصر على الأفعال دون الأسماء، فلا بد من التعرض لمادة: (ف ع ل). فالفعل من حيث البناء الزمني ينقسم إلى ماض ومضارع وأمر. هذه الأقسام تتباين من حيث المبنى والمعنى مما جعل كل واحد يمتاز عن صاحبه بسمات خاصة.

أما من حيث المعنى فإن هذه الأقسام الثلاثية تختلف في دلالتها وفي هذا يقول تمام حسان:«أما من حيث الدلالة على الحدث فالأفعال تدل على الحدث دلالة تضمنية لأن الحدث جزء معناها، فهي تدل إلى جانبه على الحدث دلالة تضمنية مختلفة عن الأسماء التي تدل على مسمى، فالحدث هو كل معنى المصدر، ولكنه جزء من معنى الفعل، وكذلك يختلف الفعل بهذا عن الصفة التي تدل على موصوف بالحدث لا على الحدث نفسه».[6]

---

[6] اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة البيضاء، ص:107.

فكما قسم النحاة الفعل من حيث الزمن، قسموه أيضا من حيث البناء إلى مجرد ومزيد، فالمجرد كما جاء على لسان أهل الحكمة هو:«ما لا يكون محلا بجوهر ولا حالا في جوهر آخر ولا مركبا منهما»[7]. فهو إذن الاسم أو الفعل الذي كانت جميع حروفه أصلية حيث لا يمكن الاستغناء عن حرف من حروفهما دون أن يختل المعنى.

وهكذا حدد النحاة الأصل (ف ع ل) الذي تأتي منه الصيغة (فعل)، لترمز الفاء إلى الصامت الأول والعين إلى الصامت الثاني واللام إلى الصامت الثالث، وبعد أن يؤتى بهذا الأصل يضاف إليه ما تتميز به الصيغة، فإذا اقتصرت الإضافات على مجرد الحركات كانت الصيغة الناتجة مجردة، أما إذا شملت الإضافة التضعيف أو الإلصاقات (اللواصق) أو كليهما أو الحركات والتضعيف والإلصاقات، كانت الصيغة الناتجة مزيدة كما في صيغة **افْعَالّ** مثلا...

فالفعل المزيد إذن هو الذي يشتمل على بعض حروف الزيادة فوق أصوله التي لا يمكن الاستغناء عنها في بعض التصريفات دون أن يختل المعنى الأصلي للكلمة.

4 **الأفعال الرباعية: الأصل والتكوين بين الثلاثي والرباعي:**

من ناحية تكوين الفعل الرباعي، فإن الآراء قد تعددت واختلفت، إلا أنه في الغالب هناك علاقة وطيدة لا يمكن إنكارها بالفعل الثلاثي، فهو تطوّر من الثلاثي نتيجة مجوعة من التعديلات والتبديلات التكيفيّة على أساس المخالفة والمماثلة... لكن هذه المسألة تعتبر من المسائل الخلافية التي انعكست في أمهات المعاجم العربية،

---

[7] كتاب التعريفات، علي محمد الجرجاني، مكتبة بيروت لبنان، ص:213.

منها بالخصوص "تاج العروس"و"القاموس المحيط" و"لسان العرب". والمقارنة التي أنجزها الأستاذان عبد الصبور شاهين وعلي حلمي موسى بين محتوى معجم "لسان العرب" ومحتوى "التاج"[8] وما كشفت عنه مقابلة القاموس الثلاثي في كل منهما بالآخر، فإن هذه المقابلة قد أسفرت عن جملة من النتائج أبرزها ما أضافه التاج من زيادات توفرت له من مصادره الكثيرة. ولبعض هذه النتائج دلالة خاصة في وصف كلا القاموسين، يحسن أن نقدمها كما يلي:

أولا: التاج يتخذ موقفا محددا في مسألة ثلاثية الجذر أو رباعيته، وقد جاءت أمثلة كثيرة تؤكد صواب موقف التاج من تقدير الأصل والزيادة في بنية الكلمة.

ولعل من أمارات الأصالة في هذا التقدير أن يكون الحرف بحيث لا يرد سقوطه من الكلمة في كل ما سمع من استعمالاته، ولذلك يعتبر التاج الكلمات الآتية جذورا رباعية:

(رهيأ – تيأب – خنتب – شأبب – قيقب – نيرب – مشلز – مأدب – دغمس – ضغبس – كوسق – درول – ابدج – قهقع – حيعل – حيهل).

ومما لاحظه الأستاذ عبد الصبور شاهين في تعليله لأصالة بعض الحروف، أن الياء أصيلة في (حيعل، وحيهل) لأن كلا الفعلين منحوت من تعبير معين، فلا يمكن اعتبار شيء من أحرفه زائدا، وهو أصل في أجزاء تعبيره. وكذلك الحال في مثل (مشلز) لأنها نحت من (مشمش ولوز)، فلا شيء من أحرفها بزائد.

---

[8] دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس "باستخدام الكومبيوتر"، عبد الصبور شاهين وعلي حلمي موسى، مطبوعات جامعة الكويت، مطابع دار السياسة، ص:61.

ولكلمتي (موسج وأبدج) هما معرب (كوسج وأبدوج)، فلا يقال في أحرفهما بالزيادة، وكذلك النون في (خنتب) أصلية، لأنها ثانية، وتزاد إلا بثبت[9].

والياء في (رهيأ، وتيأب، وقيقب، ونيرب) هي أصل في رباعي البنية، لأن أحدا لم يرو استعمالا ثلاثيا مطلقا، طبقا لرواية المعجمين، ولأن الياء في (نيرب) فاصلة بين النون والراء، ضرورة أنهما لا تتواليان في كلمة عربية، فهي لازمة في موضعها، واللازم أصل.

وكذلك يمكن القول في بقية الكلمات، فهي لم يرد استعمالها إلا رباعيا على كل وجه من وجوهها.

أما (السان العرب) فقد أشار لهذه الكلمات بتكوينات ثلاثية في كل مادة هكذا:

(رهأ – تأب – ختب – شأب – ققب – نرب – شلز – مبد – دغس – ضغس – كسق – درل – بدج – قهع – حعل – حهل). وقد عقّب على هذا، الأستاذ شاهين بقوله :" يبدو أن ابن منظور كان مولعا بتلخيص مادة الكلمة العربية في بناء ثلاثي، يعين على استقامة المعجمة، بصرف النظر عن صواب التجريد أو خطئه، ولذلك رأيناه يقوم بهذا التجريد، حتى مع نصه على أن المحذوف أصلي، ومن ذلك أنه مثلا في (ختب) روي عن الأزهري وابن سيده قولهما بأن النون في (خنتب) أصلية، ولم يرد من هذا الجذر غير هذه الصورة "[10]. ويتجلى هذا المسلك عند ابن منظور في طائفة أخرى من الأفعال جاء منها مضاعف رباعي، ولم يرد له مضعّف ثلاثي، فهو يضعها تحت عنوان هذا المضعف غير الوارد أصلا في استعمال اللغة، ومن بين ما يذكره مثلا من هذا النوع:

---

[9] دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس، ص: 62.

[10] دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس، ص: 62.

(مذذ – زعع – صعع – ثغغ – دغغ ...)، مع أنه لم يرد أي استعمال لأي جذر منها في هذه الصورة الثلاثية، بل كلها تستعمل رباعية: (مذمذ – زعزع – صعصع – ثغثغ – دغدغ) [11].

وقد جاء التاج بها جميعا رباعية البناء، ملتزما بمنهج الصرفيين، الذي يفصل بين مجرد الثلاثي ومجرد الرباعي في هذا النوع من الأفعال، ولنا عودة إلى هذه المسألة في دراسة تقارض الصيغ بين مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي.

ثانيا: قد يذكر اللسان جذرا معينا، ثم نجده يصوبه في التعريف، فيأتي التاج بالجذر مصوبا، ففي مثل (زرأ) يقرر اللسان أن الصحيح فيه ترك الهمزة: (زرى)، فيذكر التاج (زرى) ويتجنب (زرأ). وقد يتولى التاج تصويب بناء الجذر على غير ما روى اللسان، فكلمة (مأرب) يذكر اللسان لها جذرا (مرب)، والصواب: (أرب) كما في التاج. و(جيز – خيض – ليح – نيف – سيم) هي في الأصل واوية، فصوابها كما رواها التاج:

(جوز – خوض – لوح – نوف – سوم)، وقد جاءت صورها اليائية بسبب الإعلال.

---

[11] دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس، ص:63.

2 1. الفعل الرباعي وحروف الزيادة غير التقليدية

تتلخص فكرة حروف الزيادة غير التقليدية في إمكان القول بزيادة أي حرف على الأصول الثلاثية للكلمات العربية. وعدم الاقتصار على مجموعة "**سألتمونيها**" التقليدية. ومن ثم جاءت التسمية "غير التقليدية".

وقد انبثقت هذه الفكرة من ملاحظة مواد معجمية كثيرة رباعية الأصول يمكن ردّها بسهولة إلى أصولها الثلاثية بعد إخراج الحرف الذي يرى البحث زيادته. كما اعتمدت الفكرة على تصريح بعض اللغويين القدماء بزيادة بعض هذه الأحرف في بعض المواد الرباعية، وعلى رأسهم أبو الحسن بن فارس الذي صرّح بزيادة أحرف كثيرة في مواد رباعية كثيرة في معجمه "**المقاييس**".

وقد اعتمد الدكتور محمد حماد [12]في بحث له للمجمع اللغوي بالقاهرة عدّة أسس منها:

1- أنه ليس هناك مسوغ صوتي محض لاختصاص مجموعة "سألتمونيها" بالزيادة منها. إذ تشير "المكونات الصغرى" للكلمات إلى أنه لا فرق بين جميع الصوامت في بناء أصول الكلمات العربية.

---

[12] فكرة حروف الزيادة غير التقليدية أعاد طرحها خبير المجمع اللغوي بالقاهرة الدكتور محمد حماد على مجلس المجمع المنعقد في 3 ذي الحجة سنة 1321هـ الموافق 62 من فبراير سنة 2001م فوافق المجلس على عرضها على المؤتمر. انظر أعمال لجنة اللهجات والبحوث اللغوية للعرض على مؤتمر المجمع.

2- ليست أحرف "**سألتمونيها**" في الزيادة سواء من حيث قياسيتها و مواضع زيادتها. والمعاني التي تفيدها الزيادة والسلوك اللغوي لهذه الزيادات في الاشتقاق والتصريف كما هو معروف.

3- وجود مثالين رباعيين فأكثر يتفقان في المعنى ويرجعان إلى أصل ثلاثي واحد. مع تنوع الحرف الزائد أو اختلاف موضعه، مثل (د ر ق ع) و(د ن ق ع) و(د هـ ق ع)

و(د ب ق ع) التي تشترك كلها في الدلالة على "الجوع الشديد" من الثلاثي **(د ق ع)**.

4- إشارة التفسير المعجمي إلى الأصل الثلاثي.

5- نصّ كثير من اللغويين القدماء وبعض المحدثين على زيادة بعض هذه الأحرف غير التقليدية.

ويمكن توضيح هذه الفكرة بتقديم الخطوط العريضة للتحليل اللغوي للمادة التي أتيحت للدكتور محمد حماد التقاطها من معجم "لسان العرب". وكان منطلق التحليل ملاحظة القرابة اللفظية والدلالية بين المادة الثلاثية والمادة الرباعية حيث لا تفترقان إلاّ في حرف واحد يفترض البحث كونه زائداً، ولا تفترقان كثيراً في الدلالة المعجمية. ومن هنا اتجه التحليل إلى الجانبين اللفظي والدلالي:

أولا: تحليل الجانب اللفظي:

انتهى هذا الجانب من التحليل إلى ملاحظات عديدة ومهمة في توضيح العلاقة اللفظية بين الثلاثي والرباعي وبيان الحرف الزائد. وأهم هذه الملاحظات هي:

1. زيدت هذه الحروف غير التقليدية في المواد الثلاثية التي قبلت زيادة فأكثر من أحرف "سألتمونيها". وهذا مؤشر يفيد في بناء كلمات جديدة. وهو مؤشر إلى المواد المنتجة التي يمكن استثمارها. وأخيراً يفيد في الاطمئنان إلى صحة الفكرة ومدى قبولها.
2. زيدت الحروف كلها وسطاً بين الفاء والعين، أو بين العين واللام[13]. وزيد بعضها قبل الفاء، وبعضها الآخر بعد اللام من الأصل الثلاثي.
3. كثرت زيادة بعض الحروف بصورة أوضح من غيرها، فقد بلغت زيادة الراء (115) مرة، وزيادة الباء (63)، وزيادة العين (41) مقارنة بالقلة الواضحة لزيادة بعض الحروف الأخرى. فقد زيدت الصاد مرتين فقط. ومن هنا يمكن أن نفيد من هذه الظاهرة، أي زيادة الأحرف غير التقليدية في إمكان توليد كلمات أو مصطلحات جديدة يضطر إليها الباحث في مجالات العلوم والفنون المختلفة اعتماداً على وجود ما يمكن تسميته الجذور المنتجة اشتقاقياً.
4. يمكن تقسيم المادة المجموعة وفق طبيعة الحرف الزائد وموضع زيادته وكيفية الزيادة وعلاقة المجرد بالمزيد إلى ما يلي:

أ – زيادة حرف واحد في موضع واحد من جذر ثلاثي واحد، مثل: الراء:

- (هـ ز ق) : رجل هزق ومهزاق: ضحّاك. خفيف. غير رزين.
- (هـ ز ر ق) : الهزرقة من أسوأ الضحك.

---

[13] هكذا حدد النحاة الأصل (ف ع ل) الذي تأتي منه الصيغة (فعل)، لترمز الفاء إلى الصامت الأول والعين إلى الصامت الثاني واللام إلى الصامت الثالث، وبعد أن يؤتى بهذا الأصل يضاف إليه ما تتميز به الصيغة، فإذا اقتصرت الإضافات على مجرد الحركات كانت الصيغة الناتجة مجردة، أما إذا شملت الإضافة التضعيف أو الإلصاقات (اللواصق) أو كليهما أو الحركات والتضعيف والإلصاقات، كانت الصيغة الناتجة مزيدة كما في صيغة **افْعَالّ** مثلا...

غطّت أمثلة هذا القسم ما يقارب نصف المادة التي أمكن العثور عليها. وتكاد هذه الظاهرة تصل إلى درجة الاضطرار. ومن ثم يمكن الإفادة منها في توليد ما يجدّ من ألفاظ ومصطلحات.

ب- زيادة حرف واحد على أصل ثلاثي واحد مع اتفاق المعنى واختلاف أحد الأصول بطريقة تجعله مع الحرف الذي اختلف عنه من باب الإبدال اللغوي[14]، مثل:

(ذ ر ع ف) و(د ر ع ف): اذرعفت الإبل وادرعفت -بالدال والذال- كلاهما مضت على وجوهها.

---

[14] **الإبدال اللغوي:** الإبدال لغة: رفع الشيء ووضع غيره في مكانه. والإبدال اللغوي أو الاشتقاق الكبير (ويسمى أيضاً: البدل والمبدل منه، والقلب والمقلوب، والمحوّل، والمضارعة، والتعاقب، والنظائر) هو ظاهرة لغوية صوتية دلالية تعني إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر حروف الكلمة، وبذلك قد تشترك الكلمتان بحرفين أو أكثر، ويبدل حرف منهما بحرف آخر يتقاربان مخرجاً أو في المخرج والصفة معاً نحو «قضب وقضم، وقطع وقطم» فقد اشترك الزوج الأول بحرفين منهما القاف والضاد، واختلف بالباء والميم، أحدهما مبدل من الآخر، وكلاهما من مخرج واحد، أي هما حرفان شفهيان. وأما الزوج الثاني فقد اشتركت لفظتاه أو صورتاه بحرفين منهما القاف والطاء، واختلف بالعين والميم، غير أن العين حلقية، والميم شفهية. ويرى النحاة أن هذا الإبدال قد يقع في كل حروف الإبدال وإن قصره بعضهم على تسعة أحرف في الإطراد، أو جعلوه في اثني عشر حرفاً، أو أربعة عشر، أو اثنين وعشرين حرفاً. ومن المرجح أن أول من سمّى هذه الظاهرة اللغوية «إبدالاً» عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت 216هـ)، وعرض لها الزجاجي (ت 337 هـ) فقال «يقال لهذه الحروف (يعني الكلمات): الإبدال والمعاقبة والنظائر، منها ما يجوز بعضه مكان حرف واثنين وثلاثة، وليس كل الحروف كذلك.». وثمة شواهد شبيهة بالإبدال ليست منه في شيء أيضاً، إنما هي وليدة أمراض النطق والكلام كاللثغة والغمغمة والحُبسة والتأتأة والفأفأة، أو وليدة التصحيف الناجم عن سوء السمع أو عن إغفال الإعجام. وأشهر من صنف في هذه الظاهرة من المحدثين أحمد فارس الشدياق، وكتابه: «سر الليال في القلب والإبدال»، وربحي كمال، وكتابه: «الإبدال في ضوء اللغات السامية.»

وقد يفيد هذا التحليل في الحصول إلى الأصل والفرع في كثير من المواد الرباعية التي وقع فيها إبدال لغوي، بعد ردّها إلى أصولها الثلاثية. فالرباعيان السابقين مزيدان من (ذرف): لعدم وجود (درف). فالذال أصل والدال فرع ومبدل منه.

ويستنتج أن التحليل السابق يفيد في إخراج أمثلة رباعية يوهم عرضها في المعجم أنها من الإبدال اللغوي، وهي ليست منه في رأيه، كما في نحو: (اقدحر) و(اقذحر) و(اقذعر) التي تعود إلى أصول ثلاثية متقاربة المعنى والحروف. زيد في كل أصل منها حرف الراء.

ج- زيادة حرف في موضعين مختلفين من جذر ثلاثي واحد، فتنشأ صورتان رباعيتان، ويضم هذا القسم ثلاثة أضرب نذكرها كما يلي:

الضرب الأول: ضرب يختلف فيه المعنى بين الصورتين الرباعيتين مع عدم اختلاف ترتيب الأحرف الأصول. ويعود اختلاف المعنى في الرباعي إلى تعدّد دلالة الأصل الثلاثي نفسه، ومن ثم تأخذ كل صورة رباعية معنى من المعنيين، مثل:

(ب خ ن ق): المبخنق من الخيل الذي أخذت غرته ...إلى أصول أذنه.

(خ ن ب ق): الخنبق: البخيل الضيق.

يمكن ردّ (ب خ ن ق) و(خ ن ب ق) إلى أصل ثلاثي واحد هو (خ ن ق) بزيادة الباء فيهما. كما يمكن ردّ الدلالتين في الرباعي إلى وجودهما في الثلاثي نفسه. إذ تعود الدلالة الأولى إلى (المنتخق من الخيل الذي أخذت غرته احييه إلى أصول أذنه). وتعود الدلالة الثانية إلى (المُخْنتق الضيق).

وقد يعود اختلاف المعنى إلى اتساع دلالة الثلاثي وعموميته بحيث يسمح بالتفريع والتشقيق، مثل:

(ر ث ع ن) : ارثعن المطر كثر... المرثعن[15] من المطر: المسترسل السائل.

(ر ع ث ن) : الرعثَنة: التّلتلة. والتّلتلة تُتّخذ من جُفّ الطّلْعة فيُشرب منها.

وقد أمكن ردّ هاتين الدلالتين إلى دلالة الثلاثي (ر ث ن)[16] التي تدور حول الماء. مصدره وآلة شربه.

ويستنتج أيضا أن هذا التحليل الخاص بالجانب اللفظي يفيد في تصحيح الفكرة السائدة عن بعض المواد الرباعية التي كنا لا نشعر بالقرابة الدلالية بينها، وهي في الواقع مزيدة تعود إلى أصل ثلاثي واحد، كما يفيد أيضاً في اختصار المداخل المعجمية وفي فتح الباب أمام أنواع جديدة من التوليد لإنتاج كلمات جديدة.

الضرب الثاني:زيد عليه حرف واحد في موضعين مختلفين دون تغيير في المعنى ولا في ترتيب الأصول الثلاثية، مثل:

(ع ش ن ط) و(ع ن ش ط): العشنط : الطويل من الرجال مثل المَنْشَط...

الضرب الثالث: زيد عليه حرف في موضعين مختلفين مع التغيير في ترتيب أحد الأصول الثلاثة دون تغيير في المعنى. مثل:

(ب ح ر ت) و(ح ب ر ت) كَذِبٌ حِبْريتٌ وبِحْريتٌ أي خالصٌ مجـرّدٌ لا يـستره شيء. يعود الرباعيان إلى الثلاثي (ب ح ت) بزيادة الراء وتقديم الحاء في المثـال الثاني. وقد أفاد هذا التحليل الأستاذ محمد حماد في الاهتداء إلى الصورة الأصـلية والمقلوبة عنها من أمثلة كثيرة للقلب المكاني [17]تصل إلى (ثماني وثلاثـين) مـادة

---

[15] قال ذو الرمة: كأنه بعدَ رياح تدهَمُه *** ومرثعنّات الدّجون تثمُه

[16] الرَّثان قطارُ المطر يفصل بينهما سكون

[17] **القلب المكاني: هو تغيير في ترتيب حروف الكلمة المفردة عن الصيغة المعروفة لها بواسطة تقديم بعض الحروف وتأخير بعضها الآخر. ويظهر هذا التغيير في الميزان الصرفي، ووسائل معرفته :**

رباعية. "كنا لا ندري فيها الأصل والمقلوب عنه كما أفادنا في تقليل عدد المداخل المعجمية".

ثانياً: التحليل الدلالي:

يتجه التحليل في هذا الجانب إلى ما يتصل بالمعنى المعجمي الذي تفيده الكلمة وذلك للكشف عن طبيعة العلاقة الدلالية بين الثلاثي والرباعي. وقد أظهر التحليل نوعين من العلاقة يمكن تسمية الأول منهما العلاقات البسيطة والثاني العلاقات المركبة. وتتضح العلاقات البسيطة فيما يلي:

1- **اتحاد الدلالة بين الثلاثي والرباعي اتحاداً تاماً.** مثل: (ق ش ر) و(ق ب ش ر). أو اتحاداً غير تام. مثل: (ك ش م)أنفه قطعه باستئصال، و(ك ش م ر):أنفه كسره.

2- **تضييق الدلالة:** وله تفرعات كثيرة تظهر جوانب من التضييق. مثل تخصيص الحدث بفرد معين. مثل: (خ ر ق) ←→ (خ ر ب ق). وتخصيص الحدث بمكان معين مثل:

أ- عدم إعلال ما يجب إعلاله ، مثل الفعل: أيس فإنه بهذا الضبط يخضع للقاعدة الإعلالية القائلة: إذا تحركت الواو أو الياء وانفتح ما قبلها قلبتا ألفا، فكان ينبغي أن يكون الفعل معلولا كالتالي: أاس: آس. لكنه لم يعل، فأرشدنا ذلك أنه مقلوب عن الفعل "يئس" الذي لا يخضع لقواعد الإعلال.

ب- منع الكلمة من الصرف مع عدم وجود مانع من الموانع المعروفة، مثل كلمة/ أشياء التي وردت في القرآن الكريم ممنوعة من الصرف على الرغم من صرف نظيرتها " أسماء". فدلّ ذلك على أنها مقلوب الجمع الحقيقي " شيْـئاء " فعْلاء، إذ تمّ تقديم الياء على الفاء فصارت الكلمة: أشياء ، والوزن: لفعاء.

ج- الاستعمال في حالة وجود جذرين لهما نفس المعنى الذي يجعل لأحدهما تصريفات كثيرة والأخرى لا تصريفات لها،"مثل: ناء بمعنى بَـعُد، ونأى بذات المعنى. يدلنا الاستعمال على تصريفات " نأى " ، إذ يأتي منها: النأي، و ينأى، وناء، و منئي عنه، و... وهذا يدلنا على أن الأصل هو " نأى ، و أن "ناء " مقلوبها، و وزنها: فلع.

(خ م د) (خ ر م د) (أقام في منزله ، أطرق ساكنا). والانتقال من الدلالة على عموم الذوات إلى الدلالة على بعض أفرادها. مثل: (خ ب ج) ← (خ ب ج ر). والاقتصار على الدلالة المحسوسة فقط مثل: (ش ع ر) ←(ق ش ع ر) ... الخ.

3_ **توسيع الدلالة**. مثل: (ب هـ ر) ← (ب هـ ز ر).

4_ **انتقال الدلالة**. مثل: (هَدَّ ل) :(الغلام إذا صوّت) ← (هـ ر د ل):(في الحديث:أقبلت تُهردِلُ أي تسترخي في مشيه) .

5_ **انحطاط الدلالة**. مثل: (ت ر ب): (التّراب والتّربُ والتِّرْباء) ←(ت خ ر ب): (ناقة تخْربوتٌ:خِيارٌ فارهَة، قال ابن سيدهْ: إنما قُضِي على التاء الأولى أنها أصل لأنها لا تُراد أولا إلا بثَبتٍ).

وهناك علاقات أخرى تمّ الكشف عنها. ومنها النتيجة، والسببية، واللزوم، والمبالغة، والتضاد، والمشابهة، والصيرورة، والنسب، والمكانية، والآلية...

أما العلاقات المركبة فنماذجها قليلة مقارنة بما سبق. وكل نموذج بجمع علاقتين سابقتين فأكثر في المثال الواحد. وقد استطاع الدكتور محمد جماد الكشف عن حوالي إحدى عشرة علاقة مركبة وهي معروضة بالتفصيل في أصل البحث وملحقه.

ويلاحظ أن العلاقات السابقة تنتمي كلها إلى المجال المعجمي، أي تخص الصرف الذي يخدم المعجم وليس الصرف الذي يخدم النحو. ولعل هذا سبب في انصراف النحاة والصرفيين عن دراسة هذا النوع من الزيادة.

ويستنتج من هذا البحث ومن التحليل السابق للأمثلة المذكورة إلى عدة نتائج هامة، نلخص منها ما يلي:

- **أنه فتح الباب أمام نوع جديد من الزيادة** يعطينا مفردات جديدة وفق خصائص العربية. ولا بنبو عن سمتها في الاشتقاق.
- **إخراج الأمثلة الرباعية** التي يوهم عرضها في المعجم أنها من الترادف أو من القلب المكاني أو من الإبدال اللغوي.
- **الحصول** على الصورة الأصلية لبعض أمثلة القلب المكاني والإبدال...
- **تقليل عدد المداخل المعجمية** بنسبة "العشر" في "لسان العرب" حسب الإحصاء الذي قام به الدكتور حماد. وإظهار كثير من العلاقات اللفظية والدلالية بين مشتقات المادة الواحدة والربط بين الزيادات التقليدية وغير التقليدية في صوغ المفردات الجديدة.
- **تصحيح بعض الأخطاء في المعجم** العربي مما لم يصحح من قبل ولم يستدرك عليه...
- **تصحيح ردّ كلمة إلى أصلها الاشتقاقي** كما في (ب خ ن ق) [18]التي تعود إلى (خ ن ق) وليس إلى (ب خ ق).
- **تصحيح الشرح المعجمي لدلالة كلمة** ما مثل (هـ ذ خ ر) التي فسرها بعضهم بأنها تعني التبختر أو القيام بأمر البيت، والمعنى الصحيح المقبول هو الإكثار من الكلام، مأخوذ من (الهذر: الكلام الذي لا يعبأ به).

---

[18] النُخنُق البُرقُعّ الصغير يُغشى العُنق والصّدر ،والبُرنُس الصغير يسمى بُخْنَقا – وخنق: الخِنَقُ مصدر قولك وخنَقه خنْقا وخَنِقا فهو مخنوق.

- **تصحيح التصحيف في رواية الشرح المعجمي لكلمة ما**، مثل (د ر د م) بمعنى الناقة المُسنّة، والصحيح أنها الناقة الحسنة المشيّة) لأنها مأخوذة من (الدروم: الناقة الحسنة المشية) .
- **تخليص بعض كتب الصرف مما فيها- في باب الزيادة – من الاضطراب** الذي يبدو في الصور الآتية:

* تحكيمهم أدلّة الزيادة في المظنون زيادته من "**سألتمونيها**" فقط، وكان المتوقع أنّ

التحكيم يسري على كل الصرف.

* إصرارهم على رفض الزيادة من خارج "سألتمونيها" دفعهم إلى التكلف في المادة

التي أخرجوها.(انظر الخصائص لابن جني ج 2/44-55 في الفصل الذي جهد فيه

لإثبات أن (دمث) و(دمثر)...الخ أصلان لا محالة على الرغم من وضوح الاشتقاق

و الزيادة. وتابعه في ذلك معظم الصرفيين (انظر: الممتع في التصريف لابن عصفور

ج 1 /215-246).

* إصرارهم على جعل اللام والهاء من حروف الزيادة على الرغم من أنهما لا يحفظان

إلاّ في كلمات، في حين أنهم تركوا زيادة الراء مثلا في أمثلة كثيرة قد ترقى إلى الاطراد.

4: .1. 2. تعدد الآراء في تكوين الرباعي:

قد تعددت الآراء والتحليلات في موضوع تكوين الرباعي قديما وحديثا، ويمكن تلخيص أشهرها في ما يلي:

- **تكرير الحرف الأول بعد الحرف الثاني**، نحو: طَرْطَبَ الذي يقارن مع طَرِبَ وهو قليل الاستعمال في العربية الفصحى.
- **انتقال من همزة أَفْعَلَ إلى عَفْعَلَ بزيادة العين** نحو: عَبْهَلَ الذي يقابل أَبْهَلَ، وعَثْلَبَ الذي يقابل ثَلَبَ، وعَصْفَرَ بأَصْفَرَ...
- **عن طريق مخالفة صيغة التضعيف (فَعَّلَ)**: ويتعلق الأمر بالخصوص بالحروف الذلقية (الذولقيّة) [19]حيث يتمّ الانتقال من الراء إلى اللام أو النون، لكن الراء أكثر استعمالا، فتصبح فَعَّلَ بإضافة الراء إليها:

أ - فَرْعَلَ < فَعَّلَ:[20]

- خَرْمَشَ خَمَّشَ (بمعنى الجرح ،والإفساد والتشويش).

---

[19] الحروف الذلقية وهي الأصوات التي تسمى بالذلاقة أو (الذولقيّة) عند اللغويين القدماء نسبة إلى ذلق اللسان وهي: (/ ر/ ، / ن/ ، / م/ ، / ل/)، **لأنها أصوات متوسطة بين الشدة والرخاوة، وأهم ما تتميز به هو أنها أوضح الأصوات في السمع** ، وقرروا من خلال ملاحظتهم لبعض خصائص البنية، في الكلمة العربية، أن أخفّ الحروف حروف الذلاقة، فذكروا أن الرباعي و الخماسي لا يخلو من هذه الحروف، أي أن كل ما جاءنا مثال خماسي أو رباعي بغير حرف أو حرفين من حروف الذلاقة فإنه بيس من كلام العرب، مثل: (عقسج) و (خطاتج) و نحو ذلك. انظر المعرب للجواقي، تحقيق أحمد شاكر، 1361، ص:11 وما بعدها.

[20] الرمز: < يعني يحتوي .

- قَرْفَصَ < قَفَّصَ.
- فَرْقَعَ < فَقَّعَ.(تشدّق وجاء بكلام لا معنى له)
- قَرْصَعَ < قَصَّعَ.(فلانا: قمعه وصغّره وحقّره)
- قَرْطَبَ < قَطَّبَ.(يقال قطّب بين عينيه، وما بين عينيه وقطّب وجهه) و (قَرْطَبَه:صرعه على قفاه)
- قَرْمَشَ < قَمَّشَ (وكلاهما بمعنى جمع – جمعه من ها هنا وها هنا).
- قَرْمَطَ < قَمَّطَ (شدّه برباط) و (قَرْمَطَ في المشي- قارب ما بين قدميه..).
- قَرْبَضَ < قَبَّضَ (الشيء جمعه في قبضته، جمعه وطواه) و (قَرْبَضَ): القُرُنْبُضَةُ: القصيرة).

ب – فَلْعَلَ < فَعَّلَ:

- بَلْطَحَه < تَبَطَّحَ (ضَرَبَه حتى بَلْطَحَه. وبلطح استلقى على الأرض)

ج – فَنْعَلَ < فَعَّلَ:

- جَنْدَلَ (تصارع) < جَدَّلَ (صرعه)

- **بزيادة الواو أو الياء بعد فاء الفعل:** فَعَلَ ـــــ فَوْعَلَ/ فَيْعَلَ[21]:

- دَقَلَ ـــــ◄ دَوْقَلَ
- شَقَلَ ـــــ◄ شَوْقَلَ
- دَمَلَ ـــــ◄ دَوْمَلَ (و الاثنان يستعملان مع بين).
- نَسَبَ إلى ـــــ◄ نَيْسَبَ (بين)

---

[21] يرى هنري فلايش أن فَوْعَلَ ربما يكون نتيجة تعرض"لاصطدام صوتي" (accident phonétique) وقد مثّل لذلك بأمثلة منها: طَوْطَرَ وطَرْطَرَ، قلقلَ وقوقلَ.. انظر:
Traité de Phililogie Arabe, vol,II, p.432

- **أفعال بالتضعيف أو بالياء:** ويؤدّيان نفس المعنى:
  - هَلَّلَ ⟵ هَيْلَلَ (بمعنى قال: لاَ إِله إلاّ الله).
  - فَهَّرَ ⟵ فَيْهَرَ.
  - تَفَلَّقَ ⟵ تَفَيْلَقَ.
  - تَفَقَّهَ ⟵ تَفَيْقَهَ (تفيقه في الكلام وتفقه أي توسّع فيه وتنطّع).
- **زيادة الواو بعد العين :** فَعْوَلَ، ويتعلّق الأمر بفعلين هما: جَهْوَرَ وهَرْوَلَ.
- **أفعال رباعية بمعنى الاسمية (les verbes dénominatifs)**[22]، أي أن معناها يرتبط بالمصدر نظرا لغياب الفعل المجرد، نحو: عَصْفَرَ، سَرْعَفَ (من السُرْعُوف)، سَرْهَفَ، بَلْعَمَ (من بُلْعُمٌ)، قَرْزَمَ (من قِرْزَام)، رَعْبَلَ الثوب (من رعَابيلُ أو رُعْبُولة)، ضَرْزَمَ (من ضِرْزِم وهو نوع الأفاعي)، حَوْصَلَ (حَوْصَلٌ)، حَوْمَلَ (حَوْمَلٌ)، صَوْقَعَ (صَوْقَعَةٌ)، جَوْرَبَ (جَوْرَبٌ)، كَوْكَبَ (كَوْكَبٌ)، شَيْطَنَ (شيطانٌ)...
- **أفعال لاختصار المركب**، نحو:
  - بَسْمَلَ من (قول: باسْم اللهِ).
  - جَعْفَدَ من (قول: جُعِلْتَ فِدَاكَ).
  - حَسْبَلَ من (قول: حَسْبِيّ اللهُ).
  - حَمْدَلَ من (قول: الحمْدُ للهِ).
  - دَمْعَزَ من (قول: أَدَامَ اللهُ عَزَّكَ).

---

[22] الأفعال الاسمية تقابل ما يسمى في الغرب بـــ (les verbes dénominatifs)، للتوسع انظر هنري فلايش في: Trauté de Philologie Arabe, p.436-437.

- سَبْحَلَ من (قول: سُبحانَ اللهِ).
- سَمْعَلَ من (قول: سَلامٌ عَلَيْك).
- طَلْبَقَ من (قول: أَطَالَ اللهُ بَقَاكَ).
- مَشْأَلَ من (قول: مَا شَاءَ اللهُ).
- حَوْقَلَ وحَوْلَقَ من (قول: لا حولَ ولا قوَّةَ إلاّ باللهِ).
- حَيْعَلَ من (قول: حَيّ على الصلاة).

- **أفعال بإضافة الهاء في الموقع الثاني:**

- دَهْرَجَ (مشى بسرعة) من دَرَجَ (بمعنى مشى وتقدّم).
- قَهْبَلَ (المشي بطريقة ما) من أَقْبَلَ .
- بَهْصَلَ(ذكره ابن دريد بمعنى إزالة الثوب عن أحد) من بَصَّلَ من البَصَل(جرّده من ثيابه).

- **أفعال بإضافة العين في الموقع الثاني:**

- بَثَق ⟵ بَعْثَقَ تَبَعْثَقَ الماء.

- ثَعْجَرَ الدم ومنه انْثَجَرَ الجُرْحُ وانْفَجَرَ إذا سال مَا فيه. وانْثَجَرَ لُغَة في انْفَجَرَ(بإبدال الفاء ثاءا).
- صَفَرَ[23] ⟵ صَعْفَرَ (اِصْعَنْفَرَت الحُمُرُ إذا اِبْذَعَرَّتْ فنَفَرَت وتَفَرَّقَتْ وأَسْرَعَتْ فَراراً. وإنّما صَعْفَرَها الخوفُ.

---

[23] لقد ربط هنري فلايش بين صَفَرَ المجرد وبين صَعْفَرَت الحُمُر، لأن صاحب اللسان ذكر: صَفَرَ بالحِمار وصَفَّرَ دَعَاهُ إلى الماء. انظر اللسان ج/6، ص:128 والإحالة لهنري فلايش في : Traité de Philologie Arabe, p.441

- قَضَبَ وقَضَّبَ ⟵ قَعْضَبَ.

- **بإضافة العين في الموقع الثالث:**

- خَبِلَ عقْلُه ⟵ خَبْعَلَ.
- خَزِلَ (في المشي) ⟵ خَزْعَلَ (ومنه ناقة بها خَزْعَالٌ أي بها ظَلْعٌ).

- **بإضافة اللام في الموقع الرابع:**

- شَمَعَ ⟵ شَمْعَلَ.
- جَرَفَ ⟵ جَرْفَلَ وجَرْثَلَ بإبدال الفاء ثاءا. وهما بنفس المعنى: التُّرابَ سَفَاهُ.

- **أفعال بزيادة الميم في الموقع الرابع:**

- جَحَلَه جَحَلاً أي صَرَعَه ⟵ جَحْلَمَ (صَرَعَه).
- حَصَرَ ⟵ حَصْرَمَ(فلان:بخِل وحرْصم الوعاء: ملأه حتى ضاق)
- خَضَرَ الأُذْنَ ⟵ خَضْرَمَ الأُذْنَ (بمعنى قَطَعَ).
- طَحَرَ ⟵ طَرْحَمَ الحبْلَ.
- لَهِجَ ⟵ تَلَهْجَمَ (الحُبّ).
- هَذَرَ ⟵ هَذْرَمَ.

- **بإضافة الراء أو السين في الموقع الرابع:**

- شَمَخَ ⟵ شَمْخَرَ.
- خَلَبَ ⟵ خَلْبَسَ (بمعنى خَذَعَ).
- جَرَفَ ⟵ جَرْفَسَهُ أي صَرَعَهُ.

ويتضح مما سبق، أن الفعل الرباعي يتكوّن من الفعل الثلاثي بزيادة أو إضافة بعض الحروف والتي يمكن حصرها كما يلي:

- في الموقع الأول (فاء الكلمة) تضاف الحروف: **الباء، الدال، الهاء، الميم، النون، التاء، والزاي. كما تدرج: اللام، الميم، النون، الراء، الباء، الحاء، الهاء، العين، والثاء.**
- في الموقعين الثاني والثالث تضاف **الواو أوالياء نحو فَوْعَلَ وفَعْوَلَ..**
- في الموقع الرابع تضاف الحروف: **الباء، الدال، اللام، الميم، النون، الراء، السن، والثاء.**

4 .1. 3. تقارض الصيغ بين مضعّف الثلاثي ومضاعف الرباعي ؟

إن مما شدّ انتباهنا خلال عملية الجرد للجذور الرباعية[24]، علاقة المضعّف الثلاثي بالمضاعف الرباعي وعلاقة ذلك بتكوين هذا الأخير، وربما كان السبب ما يجده الناطق لهما، والمتأمل لتكوينهما من سهولة، تكاد تكون تلقائية، فما ينطق المرء بأحدهما إلا ويتخيّل صورة الآخر من نفس حروفه، سواء كان موجودا في المعجم فعلا، أم لا.

ونذكر هنا أننا أشرنا سابقا إلى أننا نعني بالمضعّف: ما يكون عينه ولامه من جنس واحد من الثلاثي، مثل: شَقَّ ومَدَّ وشَدَّ.. ونعني بالمضاعف: ما يكون فاؤه

---

[24] انظر: **نور الدين الشملالي**: " أبنية الأفعال: دراسة صرفية مع إنجاز معجم ثنائي ألي" ، الفصل الرابع "بناء قاعدة للمعطيات والعملية الإحصائية" / القسم الأول: أطروحة دكتوراه الدولة في اللسانيات، جامعة عبد المالك السعدي –كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان– 2001.

ولامه الأولى من جنس، وعينه ولامه الثانية من جنس آخر من الرباعي، مثل: جرجر، وزلزل، ووسوس، وسلسل...

وقد اعتبر الصرفيون كلا من الفعلين في بابه مجردا، أي: أنه جذر مستقل عن نظيره من مادته، وعلى هذا الأساس عاملناهما، حرصا على إعطاء صورة كاملة بقدر الإمكان عن واقع الجذور في اللغة العربية، هذا على الرغم من أن بعض المعجميين القدامى كإسماعيل ابن حماد الجوهري صاحب "تاج اللغة وصحاح العربية" لا يرى هذا الرأي، ويذهب مذهبا آخر في تفسير العلاقة بين الفعلين، على أن المضعّف الثلاثي أصل المضاعف الرباعي، فهو يذكر مادة الثلاثي، حتى لو لم تكن مستعملة، ثم يورد في تعريفها ما استعمل من الرباعي، وكان ذلك بناء على فكرته القائلة بأن فعلا مثل: (سغسغ) ناتج من التصرف في مضعّفه، بتحويل (سغَغَ) إلى (سغَّغَ). وهكذا...

ومن الممكن حينئذ أن يقال: إن تحوّل الفعل (سغَّغَ) إلى (سغسغ) قد تمّ على أساس المخالفة (la dissimilation)، حين استثقل تتابع ثلاثة أصوات من جنس واحد، فعدل عن أحدها بأبداله من جنس الصوت الرابع الذي هو فاء الكلمة. وذلك قياس ما حدث في تحويل (**تظنّنَ**) إلى (**تَظنى**) من قلب النون الأخيرة ياء.

لكن يبدو أن هذه الفكرة لم ترق للصرفيين، فإذا هم يفصلون بين البنيتين، ويعتبرونهما مجردتين، وسار على نهجهم مرتضى الزبيدى في تنظيم جذور معجم "تاج العروس"، فهو يذكر الثلاثي، حين يكون مستعملا، ويذكر في تعريفه ما يتعلق به من الرباعي، إن وجد، لكنه يذكر الرباعي كمادة مستقلة، حين لا يكون الثلاثي منهما مستعملا.

والمضعّف والمضاعف مصطلح واحد عند النحاة واللغويين، فيقولون: مضعّف الثلاثي ومضعّف الرباعي، ومثل هذا قولهم: مضاعف الثلاثي، ومضاعف الرباعي، وهو كقولهم: الثلاثي المضاعف، والرباعي المضاعف.

وفي دراسة حديثة للأستاذ **أمين السيد** عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة[25]، اقترح تبني فكرة تقارض الصيغتين الثلاثية والرباعية، يعني تحويل كل منهما إلى الأخرى مما لم يرد عن العرب اشتراكه فيهما، لتحويل ما انفرد به مضعّف الثلاثي إلى مضاعف الرباعي، وتحويل ما انفرد به مضعّف الرباعي إلى مضاعف الثلاثي.

ويحسن بنا أن نقدم بعض نتائج هذه الدراسة ، وبيان ذلك في إحصاء لمضعّف الثلاثي ومضاعف الرباعي من "القاموس المحيط".

- فقد جاء مشتركا بين الصيغتين ستون وثلاثمائة مادة **(360)** بنسبة مئوية قدرها **(63.4%)**.
- جاء ما انفرد به مضعّف الثلاثي في ثلاث وأربعين ومائة مادة **(143)** بنسبة مئوية قدرها **(25.4 %)**.
- ما انفرد به مضاعف الرباعي خمس وستون مادة **(65)**، بنسبة مئوية قدرها **(11.2%)**.
- وبلغ مجموع هذه الأنواع الثلاثة **(567)** مادة.

---

[25] "تقارض الصيغ بين مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي"، مجلة مجمع اللغة العربية، بحوث مؤتمر الدورة الستين 1414هـ-1994م - القسم الثاني الجزء التاسع والسبعون- جمادي الآخرة 1417هـ نوفمبر 1996م.

و يرى الأستاذ أمين السيد أنه يجوز أن نحول ما انفردت به إحدى هاتين الصيغتين إلى الصيغة الأخرى قياسا على الكثرة الواردة نظرا لأن ما يقرب ثلثي هاتين الصيغتين قد جاء مشتركا بينهما.

ونجد في نصوص بعض القدامى ما يشجع على ذلك، فقد قال ابن فارس: أجمع أهل اللغة إلا من شذّ منهم أن للغة العرب قياسا، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض وهذا سند قوي لهذه المسألة.

كما عزى إلى سيبويه وأصحابه أن وزن :"ربرب" ونحوه فعّل فأصله ربّب، أبدل الوسط حرفا من جنس الأول. وما عزى إلى سيبويه يوثق العلاقة بين مضعف الثلاثي ومضاعف الرباعي.

والكوفيون يقولون عن مضعف الرباعي: إن هذا الباب ونحوه ثلاثي، ولأصله (فعّل) فاستثقل التضعيف، فحالوا بين المضاعفين بحرف مثل فاء الفعل.

وفي كتاب سيبويه: هذا باب التضعيف: اعلم أن التضعيف يثقل على ألسنتهم، وأن اختلاف الحرف أخف عليهم من أن يكون من موضع واحد.

و مما يزكي هذه الفكرة أيضا ويوجب تطبيقها قول ابن جني في الخصائص: ولما كان النحويون بالعرب لاحقين، وعلى سمتهم آخذين، وبألفاظهم منحلين، ولمعانيهم وقصودهم آمّين – جاز لصاحب هذا العلم الذي جمع شعاعه، وشرع أوضاعه، ورسم أشكاله ووسم أغفاله... أن يرى فيه نحوا مما رأوا ويحذوه على أمثلتهم التي حذوا، وأن يعتقد في هذا الموضع نحوا مما اعتقدوا في أمثاله، لاسيما والقياس إليه مصغ وله قابل، وعنه غير متثاقل... وقد جاء كلام ابن جني تحت عنوان (باب من غلبة الفروع على الأصول).

ويختم الأساذ أمين السيد فكرته بقوله: « وابن دريد يتحدث عن الإماتة لبعض الصيغ، ومن جاءوا بعده يحيون ما أميت. ولنا أن نقفو آثار هؤلاء، فنجدد اللغة وننميها قياسا على اللغة». [26]

وقد عرض الأستاذ أمين السيد هذا المقترح على مؤتمر المجمع في الدورة الثامنة والخمسين في الجلسة الخامسة من جلساته، ولم يعارضه أحد.

ولذلك رأت اللجنة أن تقارض الصيغ بين مضعّف الثلاثي ومضعّف الرباعي يعني تحويل ما انفرد به مضعف الثلاثي إلى مضعف الرباعي وتحويل ما انفرد به مضعف الرباعي إلى مضعف الثلاثي. وبالإحصاء فإن هذا يضيف إلى مفردات اللغة ما يزيد على مائتي كلمة.

وهذا يعتبر تطبيقا لقرار المجمع بتكملة المادة اللغوية إذا ورد بعضها ولم يرد بعضها الآخر.

5 .الفعل الرباعي المجرد: خصائص صرفية:

الجذر الرباعي السالم هو الذي يخلو من التكرير أو التضعيف أو الإقحام، ويكون له الميزان الصرفي التالي: **ف ع ل ل**: حيث تمثل الفاء والعين واللام الأولى والثانية صوامت غير متماثلة. ومن هنا يرمز للمجرد الرباعي بالفاء والعين واللام الأولى واللام الثانية: "**فَعْلَلَ**" نحو دَحْرَجَ، عَرْقَلَ، وطَمْأَنَ...

---

[26] "تقارض الصيغ بين مضعف الثلاثي ومضعف الرباعي"، مجلة مجمع اللغة العربية، بحوث مؤتمر الدورة الستين 1414هـ-1994م - القسم الثاني الجزء التاسع والسبعون- جمادي الآخرة 1417هـ نوفمبر 1996م.

ويحتمل الرباعي المجرد ما يزيد عن أربعين بناء، إلاّ أنه بالنظر إلى كثرة حروفه لا يتحمّل التصرّف كالثلاثي ولذلك هو قليل الاستعمال. لأن الفعل الثلاثي المجرد غالب وأكثر من الفعل الرباعي، في الأصل أو في الزيادة؛ قال الزبيديّ إنّ الفعل الرباعي أقلّ من الفعل الثلاثي في الكثرة[27] . فالفعل الرباعي المجرد له وزن واحد هو: **(فَعْلَلَ يُفَعْلِلُ)** نحو: دَحْرَجَ وغَرْغَرَ، وقَرْقَرَ، وزَلْزَلَ، وفَرْقَعَ، وبَعْثَرَ، ودَرْقَعَ، وعَنْجَرَ، وجَمْهَرَ، وزَمْهَرَ وطَمْأَنَ... والمضارع منه يصاغ بزيادة أحد أحرف المضارعة قبل الفاء وكسر اللام الأولى: يُدَحْرِجُ، يُغَرْغِرُ، يُقَرْقِرُ، يَزَلْزِلُ...

وقد علّل جلال الدين السيوطي ذلك، بقول: «...إنما لم يجيء على غير هذا الوزن: لأنه قد ثَبَت أنّ الأول لا يكون ساكناً، وأول الماضي لا يكون مضموماً، في البناء للفاعل، ولا مكسورا للثقل، فتعيّن الفتْحُ، ولا يكون آخرُهُ إلا مفتوحاً أو صفة (اعله ضمَّة) مبنياً عليه، ولا يكون ما بينهما متحركاً كلُّه، لِئَلاّ يتوالى أربعُ حركاتٍ، ولا مُسَكِّناً كلُّه، لَئَلاّ يلتقي ساكنان، ولا الثالث لعُروض سكونِ الرابعِ عند الاسناد إلى الضمير، فتعيَّنَ أنْ يُسْكَنَ الثاني»[28] .

6 .الإلحـــاق:

هناك أوزان أخرى للرباعي المجرد يقول الصرفيون أنها ملحقة بالوزن الأصلي "فَعْلَلَ".

---

[27] كتاب الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات على ما أورده فيه مُهذَّباً، تأليف ابن الحسن الإشبيلي الزبيدي، طبع ج2، ص:305، بروما 1890م المكتبة المثنى ببغداد.

[28] همع الهوامع سرح الجمامع في علم العربية، جلال الدين السيوطي، ج2، ص:160.

وعُرِّف الإلحاق بأنه « جعل كلمة على وزن أخرى أزيد منها، في الحروف؛ لتعامل معاملتها في التصريف...» [29]. أمّا الغرض من اللإلحاق فهو كما حدّده ابن جني رفع ذوات الثلاثة إلى ذوات الأربعة نحو جَلَبَبَ وشَمْلَلَ، فهما ملحقان بدَحْرَجَ وهَمْلَجَ، أو بذوات الخمسة نحو "كوألَلُ" في إلحاقه بسفرجل....

وقيل إنّ الإلحاق قياسي وسماعي، وذلك على الشرح الآتي:

الإلحاق القياسي له موضعان:

الأول: ما كان بتكرير اللاّم مع الثلاثي.

الثاني : ما كان بزيادة النون في وسط الكلمة.

والإلحاق السماعي محدود في أبنية معروفة نحو:

- ما كان بالواو مثل جَوْهَرَ.
- ما كان بالياء مثل: بيْطَرَ.
- ما كان بالألف مثل سَلْقَى.

هذا وقد ذهب ابن عصفور إلى أن الإلحاق في تحديده المطلق يعني الزيادة، مع أننا بملاحظة بعض الأفعال السابقة نحو: جوْهر، بيْطر... نجد أن الإلحاق شيء مضبوط محدود، يخالف معنى الزيادة على الإطلاق، قال ابن جني: « ممَّا يدلُّ على اهتمام العرب بمعانيها، وتقدمها في أنفسها على ألفاظها، أنهم قالوا في شَمْلَلْتُ وصَعْرَرْتُ وبَيْطَرْتُ وحَوْلَقْتُ ودَهْوَرْتُ وسَلْقَيْتُ وجَعْبَيْتُ إنَّها ملحقة بباب (دَحْرَجْتُ) وذلك أنَّهم وجدوا على سَمْتِها، عَدَدَ حروفٍ، وموافقةً بالحركة

---

[29] منار السالك إلى أوضح المسالك، ابن مالك، تحقيق محمد عبد العزيز، ج2، ص:20.

والسكون، فكانت هذه صناعة لفظية، ليس فيها أكثر من إلحاقها ببنائهـــا واتّـــساع العرب بها، في محاوراتها، وطرق كلامها» [30].

والظاهر أن الغالب في الإلحاق أن يكون محلّه آخر اللفظ، ولذلك قال أبو عثمـــان المازني في ذلك: « إنّ أقيسه أن يكون بتكرير اللام، ولا تجيءُ الزيادة للإلحاق في أوّل الثلاثي بحال» [31].

أما حروف الإلحاق فحدَّدها الصرفيون في ثلاثة أحرف هي: الواو والياء والألف، لا يزاد عليها حرف إلا بالسماع. وهي كالآتي:

1- **أبنية الثلاثي الملحقة بالرباعي المجرد (فَعْلَلَ)، وذلك بالترتيب التالي:**

أ- **بالواو، نحو:**

- فَوْعَلَ يُفَوْعِلُ : مثل: جَوْرَبَه أي ألبسه الجوارب وحَوْقَلَ يُحَوْقِلُ.
- فَعْوَلَ يُفَعْوِلُ : مثل: جَوْهَرَ يُجَوْهِرُ وجَدْوَلَ يُجَدْوِلُ.

ب- **بالياء، نحو:**

- فَيْعَلَ يُفَيْعِلُ : نحو: بَيْطَرَ يُبَيْطِرُ وشَيْطَنَ يُشَيْطِنُ.
- فَعْيَلَ يُفَعْيِلُ: نحو: شَرْيَفَ يُشَرْيِفُ ورَهْيَأَ يُرَهْيِءُ إذا اضطرب.

ج- **بالألف، نحو:**

- فَعْلَى يُفَعْلِى : مثل: سَلْقَى أي استَلْقَى على ظهره وقَلْسَى يُقَلْسِى بمعنى ازدحم.

د- **بالنون، نحو:**

- فَعْنَلَ يُفَعْنِلُ : مثل : قَلْنَسَ يُقَلْنِسُ، وهو قليل بمعنى لبس القلنسوة.
- فَنْعَلَ يُفَنْعِلُ : مثل: سَنْبَلَ يُسَنْبِلُ الزرع أخرج سنبله.

---

[30] كتاب الخصائص، ج1، ص: 221.

[31] كتاب المنصف، ج1، ص:11.

- نَفْعَلُ يُنَفْعِلُ: مثل: نَرْجَسَ يُنَرْجِسُ.
- فَعْلَنَ يُفَعْلِنُ : مثل: قَطْرَنَ يقطرن (الشيء قَطَعَه متعدّ عن كراع).

ه- بالميم، نحو:

- مَفْعَلَ يُمَفْعِلُ : مثل: مَرْحَبَ يُمَرْحِبُ.
- فَعْمَلَ يُفَعْمِلُ : مثل: جَلْمَطَ يُجَلْمِطُ رأسه حلقه.
- فَمْعَلَ يُفَمْعِلُ : مثل: حَمْظَلَ يُحَمْظِلُ.
- فَعْلَمَ يُفَعْلِمُ : مثل: غَلْصَمَ يُغَلْصِمُ إذا قطع غَلْصَمَتَهُ.

و- باللام، نحو:

- فَعْلَلَ يفَعْلِلُ : مثل: جَلْبَبَ يُجَلْبِبُ وشَمْلَلَ يُشَمْلِلُ.

ز- بالسين، نحو:

- سَفْعَلَ يُسَفْعِلُ : سَنْبَسَ يُسَنْبِسُ الرجل إذا أسرع فهو سِنْبِسٌ.

ح- بالهاء، نحو:

- فَهْعَلَ يفهْعِلُ : دَهْبَلَ يُدَهْبِلُ بمعنى كبَّ اللقم (القاموي،ج2، ص389).

ط- بتكرير حرف الفاء، نحو:

- فَعْفَلَ يُفَعْفِلُ : زَهْزَقَ يُزَهْزِقُ بمعنى أَزْهَقَ.

لكن ثمة أفعال عدّوها ثلاثية ملحقة بالرباعي نحو حمظل ونرجس وجلبب... لا يمكن عدّها كذلك، بل هي رباعية أصلية، وسنبيّن ذلك في ما بعد.

فهذه المعطيات الهامة، على الرغم من تبيانها، عالجها الصرفيون تحت باب واحد، وهو باب الإلحاق، لذلك سوّوا في تحليلهم بين صوْمَعَ وحوْقَلَ وجوْهَرَ

وهَرْوَلَ وسيْطَرَ وشرْيَفَ وترْمَسَ ومرْحَبَ ونـرْجَسَ وحمْظَـلَ... إلـخ. فهـذه المعطيات، لا يمكن أن تسلِّم بها الدراسات الحديثة بإلحاقها جميعها إلى الربـاعي، فثمة أمثلة تدخل ضمن الإلحاق، وأمثلة أخرى لا يمكن إدراجها ضمنه.

لقد افترض القدماء أن **نرْجَسَ** (ما يصنع من النرجس وهو مشموم) فعل ثلاثـي ملحق بالرباعي، مع العلم أنّ أصل الكلمة غير عربي جاء من "النرجس"، فالنسق العربي لا يقبل نوناً بعدها راء، وإذا حصل هذا يُتخلّص منه بالإدغام. ولما كـان الأمر كذلك، عدوا هذه الكلمة ثلاثية، وأضافوا إليها النون لإلحاقها بالرباعي، دون مراعاة لأصلها. ويبدو أنّ لجوءهم إلى فكّ الإدغام بإرجاعهم الكلمة إلى الثلاثـي "رجس" تحليل سليم لكنه في نفس الوقت مخطئ، لأنهم لم يربطوا بـين الأصـل والفرع في هذه الكلمة. فلا يمكن الربط بين الثلاثي "رجس" الذي يعني عمل عملاً قبيحاً، وبين "نَرْجَسَ" التي تعني تعطّر بالنرجس. فالعلاقة الـصرفية والمعنويـة واضحة بين الفعل "نرجس" والاسم الدخيل "النرجس" الذي أخـذت منـه، وهـذه العلاقة قائمة على القرابة الصوتية والمدلولية؛ ومن هنا لا يمكن عدّ هذه الكلمـة ملحقة بالرباعي،بل هي كلمة رباعية أصلية وصيغتها هي " فَعْلَلَ " وليس " نَفْعَلَ".

ونظير "نرجس"، هناك " **يَرْنَأُ يُيَرْنِيءُ** "التي اعتبروها ثلاثية مزيدة للإلحـاق، وأنّ أصلها "رنأ"، لكن بالرجوع إلى المعجم لا نجد أي ارتباط دلالـي بـين الكلمتـين. فالثلاثي "رنأ" تعني تثاقل، نحو: جاء يرنأ في مشيته أي يتثاقل. أما "يرنـأ" تعنـي صبغ شيئاً ما بالحنّاء، وهي تحمل دلالة كلمة أخرى تضم نفـس حروفهـا وهـي اليرناء (الحناء). فالياء أصلية وليست زائدة هذا دليل على أنها فعل رباعي وزنهـا هو "فَعْلَلَ" وليس على وزن (يَفْعَلُ يُيَفْعِلُ)، وهي كلمة معتلة الأول. وثمة أفعـال

كثيرة لا يُطمأَنّ إلى إلحاقها بالرباعي نحو: "بَرْأَلَ" و"هَرْوَلَ" و"جَلْمَطَ" و"حَمْظَلَ" وغيرها. فقد ادّعى الصرفيون أن الهمزة في بَرْأَلَ مزيدة للالحاق، والزمخشري يورد في المفصل عند كلامه على زيادة الحروف؛ أنّ «الهمزة يحكم بزيادتها إذا وقعت أولا بعدها ثلاثة أحرف أصول كأرنب وأكرم... "ويحكم بأصالتها إذا وقع بعدها حرفان أو أربعة أصول »[32]. ثم أنّ الثلاثي "برل" لا وجود لها في القواميس، فلا يعقل اشتقاق فعل موجود من مادة لا وجود لها. ونفس الشيء بالنسبة لـ"هَرْوَلَ" الذي لا توجد له صورة ثلاثية نحو "هرل". وكذلك بالنسبة لـ"حَمْظَلَ" التي أصلها "حَنْظَلَ" أبدلت النون ميماً، وكان الأصح أن تكون على وزن "فَنْعَلَ" مثل سَنْبَلَ ودَنْقَعَ (الرجل إذا افتقر) وليس "فَمْعَلَ"، أي بالرجوع إلى الأصل فإذا كان أصل هذا الفعل هو "حظل"، ونونه زائدة لا تؤدي أيّ معنى فإنه يجب أن يوجد تقارب بين معنى حظل وحنظل. غير أنّ معنى حظل (الرجل:قصّر في مشيته من ألم أو غضب ويقال: خظل عليه:ضيّف)، يختلف من معنى حنظل ؛ فالمنع من التصرف هو المعنى الذي تعنيه حظل، هذا مخالف لمعنى الحنظل أي النبات المرّ المذاق، وحنظل جنى الحنظل.

ومن هنا أمكن ردّ مجموعة من الأفعال التي ادّعى الصرفيون أنها ملحقة إلى وزن فَعْلَلَ. أما إذا حصل اشتراك وقرابة في المعنى بين كلمات رباعية وأخرى ثلاثية، فيمكن في هذه الحالة أن نسلم بوجود إلحاق، كما في الأمثلة الآتية:

- "نَبَسَ" : (الرجل: تحرّك وأسرعَ)، و"سَنْبَسَ" : (الرجل إذا أسرعَ فهو سِنْبِسٌ).

---

[32] شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، ص:108.

- "رَمَسَ" : (الميِّتَ: دفنَه وسوَّى عليه الأرضَ. و"تَرْمَسَ" : (الرجل:حَفَرَ حفرة تحت الأرض ليتوارى فيها).

2- **أبنية الثلاثي الملحق بالرباعي المزيد؛ وهذا وزنان:**

الوزن الأول: مزيد بحرف واحد فقط وهو (تفَعْلَلَ يتَفَعْلَلُ) وذلك في الأبنية التالية:

1. (تَفَعْلَى يتَفَعْلَى) : تَلَقْسَى يتَلَقْسَى، وتَجَعْبَى يتَجَعْبَى بمعنى جمع وازدحم.
2. (تَفَعْلَتَ يتفعْلَتُ): تَعَفْرَتَ يتَعَفْرِتُ بمعنى صار ذا رأي نافذ ودهاء.
3. (تَفَعْنَلَ يتَفَعْنَلُ) : تَقَلْنَسَ يتَقَلْنَسُ إذا لبِسَ القَلَنْسَوة.
4. (تَفَعْلَلَ يتَفَعْلَلُ) : تَشَمْلَلَ يَتَشَمْلَلُ.
5. (تَفَيْعَلَ يتَفَيْعَلُ) : تَبَيْطَرَ يتَبَيْطَرُ.
6. (تَفَوْعَلَ يتَفَوْعَلُ): تَجَوْرَبَ يتَجَوْرَبُ، إذا لبِسَ الجورب.
7. (تَفَعْوَلَ يتَفَفَعْوَلُ): تَرَهْوَكَ يتَرَهْوَكُ كأنه يموج في مشيته.
8. (تَفاعَلَ يتَفاعَلُ) : تَغافَلَ يتَغافَلُ.
9. (تَفَعَّلَ يتَفَعَّلُ) : تَكَرَّمَ يتَكَرَّمُ.
10. (تَمَفْعَلَ يتَمَفْعَلُ): تَمَسْكَنَ يتَمَسْكَنُ.

الوزن الثاني: مزيد بحرفين في بنائين اثنين ملحقين باحْرَنْجَمَ (اِفْعَنْلَلَ) وهما:

1. (اِفْعَنْلَلَ) بملاحظة أن يكون اللاّمان منه من جنس واحد نحو: اِقْعَنْسَسَ (العِـزُّ: ثبت

ولزم) بزيادة الهمزة وتكرير اللام.

2. (اِفْعَنْلَى) بزيادة الهمزة والألف مثل: اِسْلَنْقَى إذا استلقى على قفاه.

وقد ورد مزيد من الأمثلة على هذين البنائين، أوردها أحمد محمد الشيخ في كتابه " أبنية الأفعال"[33]، في جدولين نقدمهما على الشكل الآتي:

الجدول الخاص بأمثلة من (اِقعَنْسَسَ):

الفعل من "اِقْعَنْسَسَ"	معناه
اثعنجج	المطرُ إذا كثر وسال وركب بعضه بعضاً.
اقعندد	الرجلُ بالمكان أقام به.
اعلتكك	الشعرُ إذا كثر والتَفَّ.
اعرندد	الرجلُ إذا قَوِيَ واشتدَّ.
اكلندد	الرجلُ إذا تكلَّدَ لحمه فغَلُظَ وتعزَّزَ.
احلتكك	الشعرُ إذا اشتدَّ سواده.
اعرنجج	الرجلُ في أمره جدَّ فيه.
اعفنجج	الجملُ إذا أسرع ومضى.
اصعنرر	الشيءُ بمعنى تداعى وانبسط وتقبض من ألم.
اسحتكك	الشعرُ اشتدَّ سواده.
اجحنشش	الرجلُ إذا عظم بطنه أو قارب الاحتلام.
اثجنجج	الجملُ بمعنى اعفنجج.

[33] أبنية الأفعال. أحمد محمد الشيخ، منشورات جامعة السابع من أبريل، الجماهيرية الليبية، 1992، ص:89-90.

الجدول الخاص بأمثلة من (اِسْلَنْقَى):

الفعل من "اِسْلَنْقَى"	معناه
اِسْلَنْقَى	الرجلُ إذا نام على ظهره.
احلنطى	الرجلُ إذا نام على أحد جانبيه.
اجلنظى	الرجلُ امتلأ غضباً.
احبنطى	إذا نام على ظهره.
اطلنقى	
احْبَنْطَأَ	بالمعاني السابقة مهموزة.
اطلنقأ	"
احرنبى	الدِّكُ إذا نفش ريشه وتهيأ للوثوب.
اجْلَنْدَى	الرجلُ إذا اشتدَّ وصلُبَ.
ابلندى	"
اسرندى	غَلَبَ.
اعرندى	"
اعلنبى	الكلب أو الديك أو الهرة إذا انتفش للقتال.
اعبنقى	الرجلُ إذا ساء خُلُقُه.
اغرندى	الرجلُ إذا رفع صوته بالسَّبِّ.
اخبندى	الرجلُ إذا عظم خَلْقُهُ.

7 . الفعل الرباعي المزيد:

مزيد الرباعي هو ما زيد فيه حرف أو حرفان:

- فإذا زيد في الفعل الرباعي حرف واحد يأتي منه بناء واحد هو: **تَفَعْلَلَ** بزيادة التاء في الأول، وهوغالبا ما يدل – كما سنرى – على مطاوعة الفعل المجرد وذلك نحو: دَحْرَجْتُه فتَدَحْرَجَ، بَعْثَرْتُه فتَبَعْثَرَ، وزَعْزَعْتُه فتَزَعْزَعَ...
- أما إذا زيد فيه حرفان فيأتي منه بناءين هما:

أ- **اِفْعَنْلَلَ** بزيادة الألف والنون، وهو يدل على المطاوعة أيضا مثل: حَرْجَمْت الإبل فاحْرَنْجَمَت...

ب- **اِفْعَلَلَّ** بزيادة الألف ولام ثالثة، وغالبا ما يدل على المبالغة، نحو: اِطْمَأَنَّ، واِقْشَعِرَّ واِضْمَحَلَّ، واِدْهَلَمَّ...

يقول سيبويه: «وليس في الكلام احرنجمته لأنه نظير انفعلت من بنات الثلاثة وزادوا فيه نونا وألف وصل كما زادوا في هذا، وكذلك افعنللت لأنهم أرادوا أن يبلغوا به احرنجمت وليس في الكلام افْعَنْلَلْته ولا افْعَاللته وهو نحو: احمررت واشهابيت، ونظير ذلك من بنات الأربعة: اطمأننت واشمازززت، ولم نسمعهم قالوا: فعلته في هذا الباب».[34] بينما يرى السكاكي أن «هيآت مزيد الرباعي هي ثلاث:

الأولى: تَفَعْلَلَ يَتَفَعْلَلُ نحو: تدحرج يتدحرج بسكون العين وفتح الباقي في البناء للفاعل وللمفعول تفعلل بضم التاء والفاء وسكون اللام الأولى يتفعلل بضم ما كان منه وهو حرف المضارعة ويجوز حذف التاء من هذا الباب ومن باب تفاعل.

---

[34] كتاب سيبويه، ج/4، ص:76.

الثانية: اِفْعَنْلَلَ نحو: احرنجم يحرنجم، وافعنلل يفعنلل على نحو هيئة استفعل يستفعل، واستفعل يستفعل في البنائين.

الثالثة: اِفْعَلَلَّ نحو اقشعرّ بسكون الفاء بعد همزة مكسورة وفتح البواقي مع تثقيل الآخر يفعللّ نحو: يقشعرّ بسكون الفاء بعد همزة مكسورة وذلك بموضع حر المضارعة مفتوحا موضع الهمزة وجعل ما قبل الآخر مكسورا في البناء للفاعل وللمفعول افعلل».[35] وزاد جلال الدين السيوطي على هذه الأبنية بناءً آخراً هو:(**اِفْعَلَّلَ**)، نحو: اِخْرَمَّسَ يَخْرَمِّسُ، الرجل إذا ذلَّ وانقطع. واِجْرَمَّزَ الشيء إذا اجتمع إلى ناحية. واِرْدَمَّجَ الرجل دخل بغير إذن أو في الشيء مستتراً. وزاد أبو حيان اِدْلَمَّسَ الليل يدْلَمِّسَ، واِطرَمَّسَ يطْرَمِّسُ إذا اشتدّت ظلمته [36].

اتّضح مما سبق أن الرباعي المزيد هو قليل الاستعمال، ولذلك فالزائد في العربية ليس عبثا وإنما كل زيادة حرف على صيغة معينة يغيّر معنى الفعل، فلكل فعل معنى خاص به، خاصة إذا كان مجردا، فيدل حينئذ على الحدث الذي يتضمنه والزمان، أما إذا زيد في صيغته حرفا زائدا أو أكثر أصبح له معنى جديدا، هو إما مركب من معناه الأصلي وما اكتسبه من الصيغة الجديدة، وإما بسيط لا علاقة له بالمعنى الأصلي.

---

[35] مفتاح العلوم، ص:20.

[36] المزهر في علوم اللغة، ج2، ص:42.

7 1..معاني الفعل الرباعي المزيد:

لاحظنا مما سبق، أن معاني الرباعي المجرد عامة تكون للتكرار والتكثير، لكن تكون أكثر في المضاعف منه، نحو: زَعْزَعَ وزَلْزَلَ...

أولا: معاني صيغة تَفَعْلَلَ:

الذي لاحظناه إجمالا هو أن المضاعف الرباعي يدل على التكرار والتأكيد، حين يدل مضعفه على مجرد وقوع الحدث كما يظهر ذلك في كثير من الأمثلة، كما يكون هناك اختلاف كبير بين الدلالتين في أمثلة أخرى.

تَفْعَلَ يكون في الغالب لمطاوعة المجرد فَعْلَلَ الذي يفيد التكثير، مثل: تَدحْرَجَ،تَزَلْزَلَ، وتَرَقْرَقَ... ويكون للإيهام نحو: تَفَلْسَفَ. كما يكون للصيرورة وهي الدلالة على أن الفاعل قد صار صاحب الشيء من لفظ الفعل مثل: تَزَنْدَقَ. ويكون للانتساب.

وتعتبر **تَمَفْعَلَ** من الصيغ الجديرة بالحكم مطَّرد مقيس بالرغم ما في ذلك من جرأة على حكمها الواضح بأنها سماعية؛ فلم تجيء الميم إلا في أفعال مسموعة، تُحْفَظُ ولا يقاس عليها، فمن ذلك قولهم: تَمَسْكَنَ الرجلُ من السُّكون، وتَمَدْرَعَ الرجلُ من الدِّرْع، وتمَنْدَلَ من النَّدْل، وهو المسْحُ بالمنديل، وتمَسْلَمَ الرجلُ من السَّلم، إذا دخل في المسلمين، وتَمَخْرَقَ الرجلُ من الخرق وهو الاتّساع، وفلان يَتَمَوْلَى علينا، من الولاية. وسُمِعت أفعال أخرى منها: تَمَهْجَرَ بمعنى تكبَّرَ مع غِنىً، وتَمَكْحَلَ الرجلُ إذا اتخذ مُكحلة، وتَمَنْطَقَ شدَّ على وسطه النِّطاق، وقالت العرب: خرجنا نتَمَغْفَرُ ونَتَمَغْثَرُ بوزن (تَمَفْعَلَ) لجني المَغْفُور والمغثور، وهو نبْتٌ له ثمر معروف[37].

---

[37] رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد بن عبد النور المالقي، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبعة زيد بن ثابت. دمشق، 1975،ص:309. **وقد نقلنا هذه الإحالة**

وغالبية دلالة تَمَفْعَلَ تكون للإنجاز والاتخاذ والدّعاء والتكلّف:

الأول: الإنجاز إلى جانبٍ دون آخر نحو تَمَسْلَمَ وتَمَوْلَى.

الثاني: الاتّخاذ للشيء والتمكُّن منه نحو: تَمَدْرَعَ، وتَمَنْطَقَ، وتَمَنْدَلَ، وتَمَرْفَقَ.

الثالث: الدّعاء والتّظاهر بخلاف الواقع نحو: تَمَسْكَنَ وتَمَهْجَرَ.

ولا غَرْوَ ولا مبالاة عند المطالبة بقياسية هذا البناء لقوّة بنائه، وحاجتنا المعاصرة في الحياة والأدب إلى صيغته، وذلك وفق السَّلاسة، والتركيب المقيس عليه من الألفاظ، لكي يَحْفِظَا للصيغة قوّة الدّلالة. وهكذا يمكن أن يقال قياساً على هذا البناء: تَمَسْجَدَ أي لزم دخول المسجدِ دون سابق عادة، وتَمَذْهَبَ تظاهر بذلك. وكذلك تَمَدْرَسَ وتَمَغْرَبَ وتَمَشْرَقَ، إذا انحاز إلى المدرسة أو المَغْرِب أو المشْرِق وتَمَدْيَنَ إذا اتخذ المدينة مقراً له. وتَمَجْهَرَ وتَمَرْأَفَ وتَمَوْقَى، لمن يدَّعي النظر غير السليم أو الانحياز إلى الرأْفة أو اتخذ وقاية بالرغم من اعتياد الإهمال[38] .

يتضح أن كثيرا من معاني الأفعال المزيدة هو قياسي مطرد يفتح المجال أمام البحث لتوليد كلمات قياسية جديدة التي تناسب المعاني الجديدة وتعبر عنها بدقة، دون الحاجة إلى اختراع صيغ جديدة من أصول غير عربية.

عن: "أبنية **الأفعال في اللغة العربية**" لأحمد محمد الشيخ، منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا، ط1، ص:87.

[38] أبنية الأفعال في اللغة العربية، ص:88.

ثانيا: معاني صيغة اِفْعَنْلَلَ واِفْعَلَلَّ:

تأتيان معا لمطاوعة فَعْلَلَ والمبالغة في نفس الوقت، نحو: اقْشَعَرَّ واحْرَنْجَمَ، واطْمَأَنَّ، أو الإغناء عن المجرد نحو: اكْفَهَرَّ.

وقد ورد على بناء اِفْعَلَلَّ أفعال شواذّ في مثل: اِقْشَعَرَّ ما جعله جلال الدين السيوطي شاذاً فقال: « وملحق بافعلَلَّ، وهو نادر، اَبْيَضَضَّ أُلحق باقشَعَرَّ. وقيل إنه فعل ثلاثي "بَيِضَ" ملحق بالرباعي» [39].

وهكذا نكون قد أتينا على ذكر أهم معاني أبنية المزيد الثلاثي والرباعي، ويمكن أن نضيف إلى هذه المعاني بعض الأبنية وهي نادرة الاستعمال مثل: تَفَوْعَلَ، وتَفَعْوَلَ، ، وكلها تدل على المطاوعة. وتفَنْعَلَ للمبالغة وافْعَنْلَى للمطاوعة. وافْعَوَلَّ للإغناء عن المجرد.

والملاحظة الجديرة بالذكر، هي أننا نجد دلالات متنوعة للصيغة الواحدة، وهذا تمام حسان يشير إلى ذلك بقوله: يكفي أن ننظر في معنى صيغة مثل "أَفْعَلَ" لتجد أن معناها يكون للتعدية، والاستحقاق، والتعريض، والتمكن والإزالة، وصيرورة الشيء ، والدخول في شيء هو الفعل والتوجه إلى الشيء وقبول الشيء.

وإذا كان تمام حسان قد ذكر دلالات متعددة للصيغة الواحدة، سنحاول أن نقوم بالعكس وذلك بذكر صيغ متعددة للدلالة الواحدة ونجملها على الشكل التالي:

---

[39] المزهر في علوم اللغة، ج2، ص:41.

- التعدية: أَفْعَلَ، فَعَّلَ، فَاعَلَ.
- المطاوعة: أَفْعَلَ، تَفَعَّلَ، تَفَاعَلَ، اِنْفَعَلَ، اِفْتَعَلَ، اِسْتَفْعَلَ، تَفَعْلَلَ.
- المبالغة: فَعَّلَ، أَفْعَلَ، فَاعَلَ، تَفَاعَلَ، اِفْتَعَلَ، اِفْعَلَّ.
- الصيرورة: أَفْعَلَ، تَفَعَّلَ، اِفْعَوْعَلَ.
- المشاركة: فَاعَلَ، تَفَاعَلَ، اِفْتَعَلَ، اِسْتَفْعَلَ.
- التكثير: فَعَّلَ، أَفْعَلَ، تَفَعَّلَ.
- الجعل: فَعَّلَ، أَفْعَلَ، تَفَعَّلَ.
- الاتخاذ: تَفَعَّلَ، اِفْتَعَلَ، اِسْتَفْعَلَ.
- الدعاء: اِفْعَلَّ، فَعَّلَ.
- الإصابة: اِفْعَلَّ، تَفَعَّلَ.
- اختصار حكاية المركب: فَعَّلَ، اِسْتَفْعَلَ.
- التحول: فَعَّلَ، اِسْتَفْعَلَ.
- التسمية: أَفْعَلَ، فَعَّلَ.
- الانتساب: تَفَعَّلَ، تَفَعْلَلَ.

7 2.. إحصائيات خاصة بالرباعي:

نشير إلى أن الرباعي المجرد قد ورد في اللغة العربية المعيارية المعاصرة بـــ **259** فعل منها المتعدي ومنها اللازم. ويمكن تقديم هذه الأفعال على هذا الشكل في الجدول التالي:

الجدول رقم (1): الرباعي المجرد: "فَعْلَلَ":

نوع الفعل	الخصائص النحوية لأفعال "فَعْلَلَ"			المجموع	النسبة المئوية
	الأفعال المتعدية		الأفعال اللازمة		
	مباشرة	بحرف جر			
أفعال بحروف مختلفة	93	5	58	156	%60,3
الفاء واللام الأولى من جنس والعين واللام الثانية من جنس	37	3 [40]	51	91	53,1 %
الفاء واللام الأولى من جنس واحد والعين تختلف عن اللام الثانية	2	0	6	8 [41]	% 3
الفاء تختلف عن العين واللام	0	0	2	2 [42]	0,8 %

[40] الأفعال الثلاثة المتعدية بحرف جر هي: بَصْبَصَ (ب)، جَلْجَلَ (ب)، ولَبْلَبَ (ب).

[41] الأفعال الثمانية هي كالتالي: طَرْطَشَ، عَنْعَرَ ، قَرْقَعَ، قَرْقَفَ، قَهْقَرَ، قَوْقَأ، كَوْكَبَ، ومَسْمَرَ.

جميعها لازمة ما عدا فعلين متعديين: طَرْطَشَ ومَسْمَرَ.

الأولى والثانية من جنس واحد					
الفاء واللام الثانية من جنس واحد والعين تختلف عن اللام الأولى	1	0	0	1 (فَلْسَفَ)	0,4 %
الفاء تختلف عن اللام الأولى والعين واللام الثانية من جنس واحد	1		0	1 (عَنْوَنَ)	% 0,4
المجموع	134	8	117	259	100 %

نور الدين الشملالي

مدرسة الملك فهد العليا للترجمة

---

42 الفعلان هما: جَلْبَبَ، وهَرْثَنَ.